الضوء على مواقف كان صادق جلال العظم قد اتخذها في اماكن اخرى ، وهي تتعلق بصورة خاصة بمسألة « تكون امة اسرائيلية » والاعتراف لهذه الامة بحق تقرير المصير . يطور العظم في هذا المجال افكارا كانت الجبهة الديمقراطية قدطرحتها وتجاوبت معها الى هذا الحد او ذاك بعض اطراف اليسار الجديد في اسرائيل . اول ما يلاحظه منير شفيق هو لا جدوى ربط حق الشعب اليهودي في تقرير مصيره بالاشتراكية ، لسبب بسيط هو ان حق تقرير المصير يضمن لاي شعب اختيار نظام اخر غير الاشتراكية ، وهو على كل حال ، يضمن اول ما يضمن الحق في الانفصال . هذا عدا عن ان حق تقرير المصير لا يمكن ان يعطى للطبقة العاملة الاسرائيلية التي حلت بالقوة والقهر والتشريد محل طبقة اخرى . واخيرا ، لا يجب نتيجة الاعتراف بتكون امة اسرائيلية ، الاعتراف لها بحق تقرير المصير « لان الاقرار بما يسمى « امة او قومية اسرائيلية » لها حق تقرير المصير ، بما في ذلك حق الانفصال على أرض فلسطين وكذلك الاقرار للشعب العربي الفلسطيني — الامة العربية — بحق تقرير المصير، **على الارض نفسها** ، يعني اما خداع الشعب العربي الفلسطيني واما خداع ما يسميه الدكتور صادق « بالشعب الاسرائيلي » الذي يشكل او هو في طريقه لان يشكل « أمة او قومية » !! ولكن ، هل يمكن سوى لانسان يضع في رأس اهتماماته ارضاء مسايرة اليسار الاوروبي على حساب ارضاء ومسايرة الجماهير العربية ان ينتج هكذا افكار وهكذا مواقف ؟.

*

من الواضح اننا نتعاطف مع اطروحات منير شفيق ، ومع جوهر ومضمون سجاله ونقده لصادق جلال العظم . دون ان يعني ذلك ان الكتاب المذكور لا يخلو ، حسب رأينا ، من بعض الشوائب والسقطات . مثلا ، « اعطاء الاولوية لعملية النضال من اجل تحرير فلسطين ، وربط عملية تحقيق الوحدة بعملية التوجه لتحرير فلسطين » هو موقف يشكو من التعميم . اذ انه لا يوضح لنا كيف يمكن لهذا النضال ان يشكل البند الاول في برنامج ثوري في تونس مثلا ، او الجزائر ، او المغرب ، او السعودية ... لا شك ان النضال الوطني في هذه البلدان يلتقي مع النضال ضد الكيان الصهيوني ويرفده غير انه لا يمكن — موضوعيا — اعتبار النضال ضد اسرائيل بالنسبة للحركة الوطنية التونسية مثلا اهم من النضال لاسقاط الحكم في تونس ، لا بل ان اسقاط هذا الحكم هو في آن واحد مساهمة في النضال ضد الامبريالية وادواتها العربية والاسرائيلية وشرط لا بد منه لرفع وتطوير هذه المساهمة .

كما ان منير شفيق الذي يتخذ احيانا مواقف مستقلة عن خط قيادة فتح يضطر احيانا تحت وطأة الهجوم التشهيري على فتح للدفاع عن مواقف غير صحيحة ولاغفال بعض الانتقادات الصائبة . فمثلا يعتبر منير ان تعايش فتح مع باقي المنظمات دليل على كونها نقضا للواقع العربي لا امتدادا له ، فهل هذا صحيح ؟ بغض النظر عن موافقتنا مع منير حول الموقف من فتح ، نقول ان تقديم هذا المثل ليس موفقا . ففتح تعايشت مع باقي المنظمات لسبب بسيط هو انها لا تستطيع القضاء عليها لانها ، اذا فعلت ذلك ، تستعدي عليها الانظمة التي ترعى وتشجع هذه المنظمات . ولا نظن ان هذا يحتاج الى براهين كثيرة . كما ان منير شفيق لم يرد على اتهام الدكتور صادق لفتح — وهو اتهام صحيح — بانها لم تقدم تفسيرا جديا لهزيمة حزيران ، بل انصرف الى نقد المنطق الذي حكم التفسيرات « البروليتارية » لهزيمة «البورجوازية الصغيرة » في حزيران ، غير ان نقده هذا لا يجب ان يعفيه من انتقاد فتح ايضا دون ان يقع بالضرورة في فخ النقد العدمي الذي وقع فيه الدكتور صادق .

ولا بد لنا ايضا من تقديم ملاحظة حول طريقة منير في معالجة موضوعات كتاب الدكتور صادق . فهو يرى ان « تصميم الكتاب — دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية — عبارة عن تشابك لموضوعات عديدة تداخلت في بعضها بعضا بلا منهاجية في البحث ، وبلا تسلسل او نظام » (ص ٥ — ٦) . الا انه بدل ان يعمد الى محاولة استخراج المحاور الرئيسية للسجال قام بعملية ملاحقة فاسرف فيها عوض ان يلتقط نقاط الخلاف الاساسية ويدرج الملاحظات الجزئية ضمنها .

*

« ان هذا الكتيب المتواضع يهدف الى الدفاع عن الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية ،